



باولو فريري بين تربية المستضعفين والتعليم الشعبي

د. زهير الخويلدي 2023-06-06 -

مقدمة

باولو فريري (19 سبتمبر 1921-2 ماي 1997) كان فيلسوفاً ومربيًا برازيليًا، متأثرًا بالفكر الماركسي ورائدًا في "التعليم الشعبي". كان الهدف من عمله هو تمكين المستضعفين من خلال برامج محو الأمية لرفع الوعي الاجتماعي والسياسي. تم استخدام أفكار فريري على نطاق واسع في دول العالم الثالث كقاعدة نظرية لإصلاح أنظمتها التعليمية.

نجحت أساليب فريري في رفع مستوى معرفة القراءة والكتابة، على الرغم من أن تركيزه على التنمية التشاركية قد نوقش كثيرًا. لقد دافع فريري عن التعليم التجريبي، وخاصة تعلم الخدمة، باعتباره أفضل طريقة للتعليم. وأعرب عن اعتقاده أنه من خلال هذه المشاركة النشطة، يدرك الناس حاجتهم إلى مزيد من المعرفة أو التدريب، وأن هذا الدافع هو مفتاح التعلم الناجح.

بالإضافة إلى ذلك، على الرغم من ذلك، شدد فريري على الحوار باعتباره الطريقة التربوية الشرعية الوحيدة، مدعيًا أنه يجب النظر إلى المعلم والطلاب على قدم المساواة. في حين أنه من الصحيح أن المعلمين يجب أن يتعلموا من طلابهم، وأن الطلاب لديهم الكثير ليعلموه معلمهم، فإن الهدف من العملية التعليمية هو نمو الطلاب وتطورهم. عندما يلتزم المعلمون والطلاب على حد سواء بهذا الهدف، ويحافظون على علاقة بناءة قائمة على متابعتهم، يكون للشباب أفضل فرصة لتحقيق إمكاناتهم، لتحقيق المنفعة المتبادلة لأنفسهم ومجتمعهم. كيف فهم التربية؟ ما هو تصوره للتعليم؟ وهل يمكن تعميم تجربته؟

الكتابة البيداغوجية بين التنظير والتجريب:

لا تأتي مساهمات باولو فريري في فلسفة التعليم فقط من الأساليب الكلاسيكية المنبثقة عن أفلاطون، ولكن أيضاً من الماركسيين المعاصرين والمفكرين المناهضين للاستعمار. في الواقع، من نواحٍ عديدة، من الأفضل قراءة كتابه التربوي للمضطهدين باعتباره امتداداً أو ردّاً على فرانس فانون "معذبو الأرض" (1963)، والذي أكد على الحاجة إلى تزويد السكان الأصليين بالتعليم الذي كان جديداً وحديثاً في نفس الوقت. (بدلاً من التقليدي) ومناهض للاستعمار (ليس مجرد امتداد لثقافة المستعمر).

اشتهر باولو فريري بهجومه على ما أسماه مفهوم التعليم "البنكي"، حيث كان يُنظر إلى الطالب على أنه حساب فارغ يملأه المعلم، على الرغم من أن الانتقادات الموجهة لوجهة النظر هذه لم تكن جديدة. إن مفهوم



الطفل باعتباره صفحة بيضاء أو "لوحة فارغة" (والذي هو في الأساس نفس "المفهوم البنكي") قد تم رفضه بالفعل من قبل تصور روسو للطفل كمتعلم نشط، ومفكرين مثل جون ديوي وألفريد نورث وايتهيد ينتقد بشدة نقل مجرد "الحقائق" كهدف للتعليم. وكان الأكثر تحدياً هو نفور فريري القوي من الفصل بين المعلم والطالب. تم قبول هذا الانقسام عند روسو وتم تقييده عند ديوي، لكن فريري اقترب من الإصرار على أنه يجب إلغاؤها تماماً.

يصعب تخيل هذا بشكل مطلق، حيث يجب أن يكون هناك بعض التشريع للعلاقة بين الوالدين والطفل في العلاقة بين المعلم والطالب، ولكن ما اقترحه فريري هو أن يتم إدراج المعاملة بالمثل العميقة في مفاهيم المعلم والطالب. أراد فريري أن يفكر فيما يتعلق بالمدرس والطالب والطالب-المعلم. بمعنى، المعلم الذي يتعلم والمتعلم الذي يقوم بالتدريس، بوصفهما الأدوار الأساسية للمشاركة المحضة... لا يمكن أن يكون التدريس عملية نقل المعرفة من المدرس إلى المتعلم. هذا هو التحويل الميكانيكي الذي ينتج عنه الحفاظ الآلي، والذي انتقده بالفعل.

ترتبط الدراسة النقدية بالتدريس الذي لا يقل أهمية عن ذلك، والذي يتطلب بالضرورة طريقة نقدية لفهم وإدراك قراءة الكلمة وقراءة العالم، وقراءة النص والسياق (المعلمون كعاملين ثقافيين: رسائل لأولئك الذين يجرؤون وهكذا، كان منهج فريري محاولة لتطبيق شيء مثل الديمقراطية كطريقة تعليمية، وليس مجرد هدف للتعليم. حتى ديوي، الذي كانت الديمقراطية محمّلاً له، لم يدمج الممارسات الديمقراطية بشكل كامل في أساليبه.

زعم فريري أن المعرفة الحقيقية يمكن أن تنتج فقط من التعلم القائم على التجربة، ودافع عن تعلم الخدمة باعتباره أعظم طريقة للتعليم. وأعرب عن اعتقاده أن تعلم الخدمة حفز وعي المتعلم بالحاجة إلى مزيد من الاستفسار. لقد رأى هذا الدافع الداخلي كمفتاح للتعلم الناجح، والحوار هو الأسلوب الأساسي. وهكذا أكد على المساواة بين الطلاب والمعلم.

بيداغوجيا المستضعفين

بيداغوجيا المستضعفين هو أكثر أعمال فريري شهرة. نُشر الكتاب لأول مرة في عام 1970، ويبحث في النضال من أجل العدالة والإنصاف داخل النظام التعليمي ويقترح منهجاً تعليمياً جديداً. مكرساً لـ "المظلومين، والذين يعانون معهم ويقاثلون إلى جانبهم"، يتضمن فريري طبقة ماركسية مفصلة تحليله في استكشافه للعلاقة بين المستعمر والمستعمر: الحرية تكتسب بالفتح وليس بالهبة. يجب متابعتها باستمرار وبمسؤولية. الحرية ليست مثالية موجودة خارج الإنسان. وهي ليست فكرة تصبح أسطورة. بل هي بالأحرى شرط لا غنى عنه للسعي إلى



الإنجاز البشري (بيداغوجيا المستضعفين).

ووفقاً لفريري، فإن الحرية ستكون نتيجة "الممارسة" - الفعل المستنير - عندما يتحقق التوازن بين النظرية والممارسة. يقترح فريري "الحوارات" كأداة لتحرير المستعمر، من خلال استخدام التعاون والوحدة والتنظيم والتوليف الثقافي (التغلب على المشاكل في المجتمع لتحرير البشر). هذا على النقيض من "مناهضة المنطق" التي تستخدم الفتح، ومفهوم فرق تسد، والتلاعب، والغزو الثقافي.

فيما يتعلق بالتعليم، جادل فريري بأن الكلمات تنطوي على تفاعل جذري بين التفكير والعمل وأن الكلمات الحقيقية هي تحويلية. يتطلب الحوار الاحترام المتبادل والتعاون ليس فقط لتطوير التفاهم، ولكن أيضاً لتغيير العالم. يشمل التعليم "الأصيل"، وفقاً لفريري، حواراً بين المعلم والطالب، بوساطة السياق العالمي الأوسع. رفض فريري المنهج "البنكي" في التعليم (استعارة استخدمها فريري تشير إلى أن الطلاب يعتبرون حسابات بنكية فارغة يجب أن تظل مفتوحة للودائع التي يقدمها المعلم)، مدعياً أنها تؤدي إلى نزع الصفة الإنسانية عن كل من الطلاب والمعلمين.

بدلاً من ذلك، دافع فريري عن منهج متبادل بوساطة عالمية أكثر للتعليم يعتبر الناس غير مكتملين. يجب أن يسمح هذا المنهج "الأصيل" في التعليم للناس بأن يدركوا عدم اكتمالهم وأن يسعوا جاهدين ليكونوا أكثر إنسانية. هذه المحاولة لاستخدام التعليم كوسيلة لتشكيل الشخص والمجتمع بوعي تسمى "الضمير"، وهو مصطلح صاغه فريري لأول مرة في الكتاب.

التعليم الشعبي

عمل فريري في فلسفة التعليم يضعه بين السلطات الرائدة في التعليم الشعبي. لقد تأثر بشكل كبير بالماركسية والوجودية والفيونولوجيا، معتقداً أن للتعليم هدفاً مميزاً: إحداث تغيير اجتماعي من خلال التغلب على الاستغلال والاعترا ب الاجتماعي: المواطنة تعني الحرية - في العمل، وتناول الطعام، وارتداء الملابس، وارتداء الأحذية، والنوم في المنزل، لإعالة نفسه وعائلته، الحب، الغضب، البكاء، الاحتجاج، الدعم، التحرك، المشاركة في هذا الدين أو ذاك، هذا الحزب أو ذاك، لتثقيف المرء وعائلته، للسباحة بغض النظر في أي محيط من بلد المرء.

لا يتم الحصول على الجنسية عن طريق الصدفة: إنه بناء، لم ينته أبداً، يتطلب منا الكفاح من أجله. يتطلب الالتزام والوضوح السياسي والتماسك والقرار. لهذا السبب لا يمكن تحقيق تعليم ديمقراطي بعيداً عن تعليم المواطنة ومن أجلها (المعلمون كعاملين ثقافيين: رسائل لأولئك الذين يجرؤون على التدريس). لقد زعم فريري



أنه من خلال تعلم المهارات ذات الصلة بحياتهم القاسية، يمكن تمكين الناس لإنشاء مجتمع أفضل. يجب أن يشجع التعليم التفكير في القيم والمثل التي يتقاسمها الناس، ويجب أن يحفز الناس على الانخراط في خدمة المجتمع.

حذر فريري من أن النمط التقليدي للتعليم لا يعزز إلا الوضع الراهن من خلال تعليم الأشياء التي يريد الأشخاص في السلطة أن يتعلمها الآخرون. إن الرأسماليين ورجال الدين والسياسيين، الذين يشاركون في السلطة، يتلاعبون بالمجتمع من خلال التعليم للبقاء في السلطة وإشباع جشعهم الأناني. لذلك، فإن التعليم ضروري لتحرير الناس من الاضطهاد الخارجي والجهل الداخلي.

خاتمة نقدية

كان لنظريات فريري العديد من النقاد. انتقد جيبسون (2006) عمله باعتباره طريق مسدود، وهو مزيج من الاشتراكية القديمة والإصلاحية الليبرالية. تم انتقاد عمله أيضاً من طرف تايلور (1993) لأنه يعتمد بشكل كبير على فنومينولوجيا الروح عند هيجل. تم انتقاد نوع الفصول الدراسية عند فريري على أساس أنه يمكن أن يخفي سلطة المعلم بدلاً من التغلب عليها. يتعلق التعليم في حد ذاته بالتدريس والتعلم، وعلى الرغم من أن فريري دعا إلى أسلوب تدريس غير رسمي قائم على الحوار، إلا أن طريقته لا تزال تتطلب نوعاً معيناً من المناهج التي يديرها المعلم، وبالتالي يضع المعلم في موقع سلطة على الطالب.

لكن كتاب فريري بيداغوجيا للمستضعفين نُشر بـ 17 لغة ولا يزال كتاباً مقروءاً على نطاق واسع في القرن الحادي والعشرين. قبل نشره في عام 1970، كان يسمى كتاباً عنيفاً، يعارض الديمقراطية المسيحية ويعزز الفوضى والمثل الشيوعية. ومع ذلك، تم الاعتراف به لاحقاً كرائد حقيقي في التعليم التحرري، وعمل على تحرير المقيدين والمضطهدين من خلال التعليم، وعلم المسؤولية الاجتماعية للمضطهدين. تم ممارسة مفهومه عن "التعليم الشعبي" على نطاق واسع في دول العالم الثالث، وخاصة أمريكا اللاتينية، ويعتبر مساهمة أصلية وهامة من أمريكا اللاتينية للفكر التربوي العالمي.

تم إنشاء معهد باولو فريري بهدف خلق حوار بين العلماء ولتعزيز البحث في النظريات التعليمية الجديدة التي من شأنها تحديث طريقة إجراء التعليم في المدارس. ينشط المعهد في 18 دولة حول العالم. فمتى يتم الاستفادة منه في اصلاح مناهج التعليم وتجديد البيداغوجيا في البلدان التي تشهد تراجعاً في مستوى المدرسة العمومية؟

* كاتب فلسفي



المصدر:

باولو فرييري. [1967] التعليم، ممارسة الحرية. لندن: تعاونية الكتاب والقراء للنشر. 1976.

باولو فرييري. [1970]. تربية المستضعفين. المجموعة الدولية للنشر المستمر. 2000.